التشريع اللغوي

الأستاذ الدكتور ، احمد مطلوب
عضو المجمع العلمي ــ بغداد

(1)

عرفت المجتمعات البشرية التشريعات منذ فجر التاريخ ، وكان لها دور كبير في تنظيم الحياة ، ولم يكن العرب بمنأى عن هذا ، فعقدوا الأحلاف ، واقروا الأعراف ، وملكوا عليهم الإشراف ، إذ لا حياة هانئة وادعة مـــن غير سلطان يسوس الناس بحكمة ، ويصونهم ، ويرعى حقوقهم ، ولا يصلح الناس إلا بسراة حكماء ، وتنظيم يقـــود إلى الأمن والاستقرار 0 وقد عبر الافـــوه الاودي عن ذلك فقال :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا ســـــراة إذا جهالهم سادوا

والمجتمع كالبيت لا يبتنى من غير عمد أي نظام :

والبيت لا يبتنى إلا لـــــه عمـــد ولا عماد إذا لم ترس أوتـــــاد

فـــــأن تجمع أوتاد وأعمـــــــدة وساكن بلغوا الأمر الذي كـادوا

هذا ما كان في الجاهلية ، وحينما أشرق نور الإسلام توطدت دعائم الملك بما جاء في القران الكريـم من تشريع نظم حياة الإنسان ، وجعله يحيا آمنا مطمئنا في ظل دولة يحكمها التشريع ويسوســـــــها السلطان 0

(2)

ولحكمة بالغة انزل الله ــ تعالـــــى ــ القران الكريم بلغة العرب ولم ينزله بلسان أعجمي لأنه ــ كما قال ــ : (ولو جعلناه قرانا أعجميا لقالوا : لولا فصلت آياته، ااعجمي وعربي ؟ قـل هو للذين امنوا هدى" وشفاءٌ ، والذين لا يؤمنون في أذانهم وقـــرٌ، وهـو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد) 0 [فصلت / 44] وقال : (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) [النحل / 103] وكأن في تكرار كلمة (العربيّ) دعوة إلى الاهتمام بلغة الكتاب العزيز ، لذلك اهتم بـــــها

العرب والمسلمون ، واستنكروا اللحن ، ووضعوا الكتب فـــي ضبطها ، والحفاظ عليها واعتزوا بها كل الاعتزاز ، قال جار الله الزمخشريّ: (احمد الله على إن جعلني مـــن علماء العربية ، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية) 0

وظلت العربية مزهرة حتى إذا ران على العـــرب والمسلمين ليل كافر ، وحاقت بهم أسباب القهر ، توقف نموها واعتراها الجمود ، ولكنها بدأت تسترد حيويتها في عهد النهضة الحديثة ، ونالت اهتماما كبيرا من المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية ووسائل الأعـــــلام ، وأصبح الفرق جليا بين واقعها بالأمس وواقعها اليوم ، حيث كانت يوم ذاك ألفاظا وأساليب تمثل عهد الجمود ، وأصبحت فـــي هذه الأيام تمثل التقدم والازدهار ، وتستوعب المستجدات لما فيها من الحيوية ووسائل النمو والاتـــساع ، ولكن يخشى عليـــها من الحركات الهدامة ، والأفكار الضالة ، والدعوات المريبة التـــي تنطلـــــق من هنا وهناك لتطويرها ، وتزيف واقعها يزخرف القول ، وما في ذلك إلا العجز ، وكـــأن أصحاب تـــــلك الدعوات كالقعدي الذي قال عنه أبو نواس :

فكأني ومـــــا أزين منـــــها قعديٌ يزين التحكيـــــــما

كل عن حمله السلاح إلى الحر ب فأوصى المطيق إلا يقيما

ليست العربية مـــــن اللغات الميتة أو المهملة ، فما زالت المجامع اللغويـــــة ، والمؤسسات العلمية والباحثون يحرصـــون عليها ، ويمدونها بما يجعلها قادرة على استيعاب المستجدات على الرغم مما يحيق الوطن العربي مـن تيارات تريد إن تجعله منضويا تحت مظلة العولمة التي بدأت تذر بقرنيها ، وأخذت تنتقل من اقتصاد السوق والشـــركات المتعددة الجنسيات إلى اللغة والثقافة ، وفي هذا التحول خطر كبير على الأمـــة العربية ؛ لأنها ستفقد أهم مقومات وحدتها ، ووسيلة ثقافتها ، ورمز عزتها ، واستقلالها 0

(3)

في الوطن العربي والعالم الإسلامي (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) وهم يتحملون عبء الدفاع عـــــن العربية ، ويسعون إلى نموها وازدهارها ، على الرغـــــم مما يلاقون من صعوبات ، ومعوقات داخلية وخارجية ، ولكي يبقى الاهتمام بلغة الضاد قويا لابد من (تشريع لغوي) يعزز تلك الجهود ويكسبها شرعية قانونية ، ويقطع دابر كل مضلل كما (قطعت جهيرة قـــول كل خطيب) 0

إن إصدار قوانين تحافظ على سلامة اللغة ليس بدعا" ، فقد اصدرالعراق سنة 1977 م (قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية) ، وأصدرت الجزائر سنة 1991 م (قانون تعميم استعمال اللغة العربية) وهو ما فعلته فرنسة فأصدرت القوانين التي تحمي لغتها ، وفرضت استعمالها في كل النصوص المكتوبة ، ومنعت استعمال الألفاظ والعبارات الأجنبية ، واتخذت إجراءات لمن يخالف ذلك ، وأنشأت (المنظمة الدولية للفرنكفونية) 0 وهذا ما تقوم به دولة واحدة للحفاظ على لغتها ونشرها في العالم لتنافس الإنكليزية والأسبانية ، فكيف بالوطن العربي وفيه اكثر من عشرين دولة ، وكيف بالعالم الإسلامي الذي فيه أكثر من خمسين دولة ؛ ولا يعبأ المؤمنون بلسانهم ولغة قرانهم بما يخشى على العربية في هذا العهد الذي تتصارع فيه الأهواء والرغبات ؟ 0

(4)

إن التشريع اللغوي ضروري للحفاظ على سلامة العربية ليكون سندا للعاملين في حفلها ، ودعما للمجامع والمؤسسات ووسائل الأعلام ، واعتزازا بها ، وتقديرا لها وهي لغة الكتاب العزيز ، ولسان الملايين في أنحاء المعمورة 0

أولا : ويتضمن التشريع الالتزام باللغة العربية في التدريس وتعريب التعليم في الجامعات ، لان هذا هو الخطوة الأساسية التي تعزز مكانتها وتحافظ عليها ، فضلا عن إن أية لغة هي كيان المنتمين إليها ، ورمز عزتهم ، وان التعليم بها يخدم العملية التربوية ، وقد أثبتت البحوث إن استعمال اللغة ألام يسرع في تلقي المعرفة والعلم ، بخلاف استعمال اللغة الأجنبية التي يحرص عليها من لا يعنيهم أمر أمتهم ، وكانت قد ظهرت في بغداد سنة 1932 م دعوة إلى التدريس في كلية الحقوق بلغة أجنبية ، ووقف ساطع ألحصري ـ رحمه الله ـ بوجه استدعاء أساتذة أجانب للتدريس فيها ، واقترح الاستعانة بأساتذة من مصر ؛ لان كلية الحقوق بالقاهرة قامت على أسس متينة ، واستفادت من خدمات الأساتذة الأجانب ، وتخرج كثير من أساتذتها في الجامعات الأجنبية ، وصاروا يدرسون العلوم القانونية باللغة العربية 0 واستجاب المسؤولون لرأي ألحصري ، وقدم إلى كلية الحقوق أساتذة عرب كبار 0

ولم ينفع طلبة كلية الطب كثيرا بما درسوه باللغة الإنكليزية ، وينضح ذلك من التقرير الذي رفعه فاضل الجمالي ـ مدير التدريس والتربية العام ـ الى وزير المعارف العراقية في الرابع من شهر

آذار سنة 1938 م ، إذا جـــاء فيه : (عدم إتقان الطلاب اللغة الإنكليزية يجعل دراساتهم عقيمـــة ، لاسيما والكتب كلها إنكليزية ، والمحاضرون معظمهم إنكليز 0 وقد حدث ان رأيت احـــــد الطلاب المتخرجين لم يستطع قراءة وفهم الكتاب الذي درسه في كلية الطب ، وفي هذا خطر على الأرواح لا يمكن إن يقدر) 0

إن التعليم باللغـــــــة العربية في جميع المراحل الدراسية ييسر الفهم ويسرع فـــــــي استيعاب المادة العلمية ، ويعزز مكانة لغة الضاد ، ويوسع مـــــن قدراتها للتعبير عن المستجدات ، ويدفع العاملين في حقولها إلى المثابرة والعمل الجاد في سبيل الحفـــاظ عليها وإنمائها ، ورفدها بكل جديد 0

ثانيا" : جعل النجاح في امتحان اللغة العربية شرطا" للتعيين فـــي مؤسسات الدولة ، والقبول في الدراسات العليا أسوة بامتحان الكفاءة باللغة الأجنبية 0

ثالثا: سلامة ما يكتب بها وينشر في المطبوعات ووسائل الأعلام ، وإحالة ذلك على مختصين بالعربية للتأكد من صلاحية ما ينشر ويذاع ويشمل ذلك رسائل الدراسات العليا قبل تقديمها إلى المناقشة 0

رابعا" : إن تحرر بالعربيـــــة الوثائق ، والمذكرات ، والمكاتبات ، وغيرها من المحررات التي تقدم إلى الدوائر الرسمية وغير الرسميـــــة ، ويشمل ذلك العقود ، والإيضاحات ، والمكاتبات المتبادلة بين المؤسسات أو الجمعيات ، أو الشركات العامة 0

خامسا" : استعمالها فـي كتابة اللافتات والإعلانات ، وأسماء الشـركات والمحال التجارية ، والمكاتب ، وبراءات الاختراع ، والعلامات التجارية والمواصفات 0

سادسا" : تسمية المواليد العرب بأسماء عربيـــــة ، وتجنب استعمال الأسماء المشتركة بين الذكور والإناث لما في ذلك من مشاكل اجتماعية وإدارية ، وتجنب استعمال الأسماء القبيحة 0

سابعا" : اسـتعمال المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية العربية فيما يؤلف ، ويكتب من بحوث ومقالات ، وما يبث من الإذاعتين : المسموعة والمرئية ، وينشر في الصحف والمجلات 0

ولـــــن يضمن تطبيق التشريع ما لم ينص على عقوبة من يخالف القانون ، أو يسيء إلى لغة القران الكريم ، وهو مـا نص عليه القانون العراقي والقانون الجزائري ، ومن قبلهما قوانين فرنسة الخاصة

بسلامة لغتها والحفاظ عليها 0 ويمنع هذا النص من اختراق التشريع ، ويعزز اللغة ، ويجعل العاملين في حقولـــها مطمئنين في عملهم ، ويشجع على الوقوف بوجه العابثين وإقامة الدعاوى القضائيـــــة عليهم ، كما حصل في العراق إذ أقام احد المواطنين دعوى على جريدة حكومية لـــــم تلتزم كل الالتزام بالقانون ، وكسب الدعوى ، وكرم لحرصـــه على لغة الضاد ، وجرأته علـــى مقاضاة جريدة رسمية 0

(5)

هذه الخطوط العامة للتشريع اللغوي ، وفيما جاء في القانون العراقي والقانون الجزائري أسوة لمن يريد الحفاظ على سلامـــة اللغة العربية ، إذ انطلق القانونان من واقع العربية ، واتفقا في الهدف وكثير من المواد 0

ولابـــــد لتنفيذ التشريع اللغوي من هيئة تتابع التطبيق ، وقد قام العراق بإنشاء ((الهيئة العليا للعناية باللغة العربية)) سنة 1983 م ، وأنشأت الجزائر ((المجلس الأعلى للغة العربية)) سنة 1998 م ، لغرض المتابعة والتنفيذ ، وهو ما فعلته فرنسة حين أحدثت ((اللجنة العليا للدفاع عـن اللغة الفرنسية)) التـــــي تحولت سنة 1972 إلى ((اللجنة العليا للغة الفرنسية)) فضلا عن الجمعيات التـي تعنى بسلامـــــــة لغتها 0 و ((المنظمة الدولية للفرنكفونية)) التي تبشر بها ، وتنشرها في أنحاء العالم 0 إن إنشاء هيئة عليا أو مجلس أعلى للغة العربية ، لا يناقض وجود مجامع لغويـــــــة ، لان لكل منـها أهدافا وواجبات ، والعناية باللغة العربية بعض تلك الأهداف في المجامع التي لا تملك سلطة التنفيذ 0 ويتضمن قانون الهيئة أو المجلس :

أولا" : العناية باللغة العربية من جميع الوجوه ، وتيسير استعمالها ، والمحافظة علـى اصالتها وجوهرها ، وسلامتها من الأخطاء ، وخلوها من الألفاظ العامية والأجنبية 0

ثانيـــا" :الرقابة والإشراف على تنفيذ التشريع اللغوي ، واقتراح مشروعـات القوانين والأنظمة المتعلقة بشؤون اللغة العربية 0

ثالثـــا" : إقرار الخطط اللغوية التي تضعها الوزارات ، والمؤسسات والجامعات 0

رابعـــا":المشاركة في المؤتمرات ، وعقد الندوات اللغوية 0

خامسا" : نشر الوعي اللغوي بين المواطنين في وسائل الأعلام المختلفة 0

سادسا": إصدار مجلة شهرية أو فصلية تعنى باللغة العربية ووسائل نموها ، ونشر المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية العربية 0

ومما ييسر عمل الهيئة أو المجلس :

أولا" : إن ترتبط بأعلى سلطة في الدولة ، وان يكون رئيسها بدرجة وزير ، ــ في الأقل ـ لتكون قراراتها ملزمة لجميع الإطراف 0

ثانيا" :إن تشكل مـــن وزراء التربية والتعليم العالي ، والثقافة والأعلام ، لان وزاراتهم الصق باللغة العربية من غيرها ، وان تضم بعض المختصين بالعربية والحريصين عليها 0

ثالثا" :إن يكون لها كيان مستقل ماليا" وإداريا" لتستطيع ممارسة عملها بإتقان 0

رابعا" : تشكيل هيئات تنفيذية في الوزارات ، والمؤسسات ، والجامعات للعمل على :

١ -وضع الخطة السنوية التي تتضمن الدورات اللغوية ، وعقد الندوات ، واستقراء المصطلحات والألفاظ الأجنبية وإرسالها إلى الهيئة العليا أو المجلس الأعلى لتوحيدها قبل إرسالها إلى المجامع اللغوية والعلمية لوضع ما يقابلها باللغة العربية 0

٢ -الإشراف على امتحانات الكفاءة اللغوية 0

٣ -وضع تقرير سنوي إلى الهيئة أو المجلس يتضمن نشاطها ، وما حققته في تنفيذ خطتها 0

٤ -إقامة احتفال سنوي باسم (يوم الضاد) يحدد بقرار من جامعة الدول العربية بالاتفاق مع المنظمة الإسلامية ، ليكون الاحتفال عربيا" اسلاميا0

(6)

إن إصدار تشريعات في الأقطار العربية للحفاظ على سلامة لغـــة القران الكريم ، وتشكيل هيئات أو مجالس عليا للعربية ضروري في هذا العهد الذي تتعرض فيه اللغة للهجمات في الســـــر والعلن ، وحولها الأمم تناضل للحفاظ على لغاتها ، وما (الفرنكفونية) إلا مـــثال واضح على ذلك النضال 0 والخير كل الخير إن ينشىء العرب منظمة تعنى بلغتهم ، ونشرها ، وهـــــــي اللغة التي تنطق بها الملايين وتستعملها فـــي مشارق الأرض ومغاربها ، والتي استوعبت العلوم والآداب والفنون 0 وإذا

كان الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد حفظها في كتابه العزيز وقـــال : " إن علينا جمعه وقُرانه " (القيامة 17) فلا يعني التواكل ، لأنها ستظل مهددة من أعداء كتاب الله وأمة العرب 0

انه لمـن الضروري إن تقوم " منظمة دولة للغة العربية تضع الخطط الكفيلة بالحفاظ على لغة الضاد ونشرها فـــي العالم ، وان يكون لها سلطان لتحقق أهدافها ، وان تعمل بجد كما تعمل الفرنكفونية في الساحة الدولية 0 وهذه دعوة أطلقتها فـــي شهر نيسان من عام 2002 م في الكلمة التي ألقيتها نيابة عن المشاركين في افتتاح- " مؤتمر اللغة العربيـــــة إمام تحديات العولمة " الذي عقده معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية في بيروت ، وما قدمته عن " اللغة العربية وتحديات العولمة " في ندوة " قضايا اللغة العربية في عصر الحوسبة والعولمـــــة " التي عقدها مجمع اللغة العربية الأردني في أيلول من عام 2002 م بدعوة من اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية 0 وكان معهـد الدعـــــوة الجامعي للدراسات الإسلامية قد اقـــــــرّ في مؤتمره تأسيس " مجلس عالمي لرعاية اللغة العربيـة وتنميتها " ، ووضع مشروع النظام الأساسي الـــذي شاركتُ في وضعه ، وقد اطلع عليه العماد إميل لحود رئيس الجمهورية اللبنانية ، وقال في رسالته التي وجهها إلى رئيس المعهد في العشرين مـــــن تشرين الثاني سنة 2002 م :

" لقد اطلعت بإمعان على مشروع نظام المجلس التأسيسي لرعاية اللغة العربية وتنميتها ، وقد رغبتم من خـــــلال إطلاعنا عليه إن تحصلوا على إشارات بهذا الخصوص 0 إننا نهنئكم على جهودكم في إظهار لغتنا العربية لا لغة الشعر والمنطق فحسب ، بل لغـة العلم والتطور والحضارة 0 وما رغبتكم في إنشاء مجلس عالمي لرعاية اللغة العربية وتنميتها إلا تلبية لهاجس التفوق الذي تبثه فينا جماليـات قوالب هذه اللغة وعبقريتها " 0

ويعـــزز هذه الدعـــوة توصية الندوة التربوية التي عُقدت في باريس سنة 2004 م ، وشاركت فيها المنظمة الإسلامية للتـــربية والعلوم والثقافة ، والمنظمـــة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، وقد جاء فيها :

" إنشاء هيئة عالمية للغة العربية تكون أطارا جامعا للدول والمجتمعات الناطقة باللغة العربيـــــــة ، وجهازا متخصصا يخدم لغة الضاد ، ويعمل على تيسير تعليمها والسهر على تطويرها ، وتوسيـــــع دائرة انتشارها " 0

وقـــد تتبنى جامعة الدول العربية هذا المشروع ليكون عربيا لما للجامعة من اثر في الساحة الدولية ، وما لأجهزتها من حضـــــور في مختلف بلدان العالم ، أو تتبناه المنظمة الإسلامية ليكون المشروع عربيا إسلاميا لما لها من سلطان 0

(7)

وبعـــــــد :

فهـــــذه الدعوة ليست بدعا" وإنما هي فكرة تشريع استمد أصوله مـــــن قانوني العراق والجزائر ، وسيكون للتشريع اللغوي والمنظمة الدولية للغة العربية اثر في تنمية العربيـة والحفاظ على سلامتها ، فضلا عمّا تقوم به الأسرة والمدرسة ، والجامعة ، والمجامع ، ووزارات التربيـــة ، والتعليم العالي ، والثقافة والأعلام المقروء والمسموع والمرئي وما ينشر من بحوث ودراسات تُـــعنى باللغة العربية وتيسر تعليمها ، وتنشر الوعي اللغوي بين المواطنين 0

إن التشريـــــع اللغوي احد أجنحة الحفاظ على سلامـة اللغـــــة ، والوسائل الأخرى جناحه الأخر ، وستزدهر العربية إن نهضت بهذين الجناحين ، وستبقى لغة العلوم والآداب والفنون على الرغم ممـا تتعرض له من تحديات ، ومن تنكر ، وتزييف ، وبهتان لا يطول غيرها من اللغات 0